نحو شجرة التوت التي انحنى أمامها مُلْصِقاً راحتيه بجذعها. ولقد قال إنه سيقضي هنا أيامه ولياليه ما بقي في هذه المدينة.

اقترب أهالي المدينة عند ذلك راسمين هالة حوله وتجرّأت أقلّ الشفاه خجلاً على طرح الأسئلة المنتظَرة: هل تحدّث إلى الغازي؟ أي صنف من الرجال كان «هرمز» ذاك؟ متى سيستحوذ على المدينة؟ ما المصير الذي يخبِّئه لهم؟ هل في الوسع استئناف التجارة؟ هل ستُحْتَرم العبادات؟

وأجاب:

ـ إن الأمير الذي استقبلني لا يخلو من حكمة ولا من تمييز. وهناك في كل إنسان شرارة مختبئة تحت الخوذات ومظاهر الزينة ودروع الزرد.

وإذا لم يكن «ماني» قد رغب في الوعد بشيء فقد أدخلت هذه الكلمات القليلة الطمأنينة على القلوب، وازدادت الإحاطة به. وما كان أغرب رؤية مدينة التجّار الموقّرة هذه تتعزّى على هذا النحو بجوار متسوِّل نزل في أرضها حديثاً! والحقّ أن أهالي (دَبْ) كانوا على يقين مشبوب بأنه، ما دام «ماني» هناك، مُسنِداً ظهره إلى شجرته، وما دام يتحدّث ويصلّي ويسمح بأن تخدمه أشدّ النساء تواضعاً، فلن يُهاجم مدينتهم أي جيش من جيوش الدنيا. وهكذا أخذت الحياة تعود شيئاً فشيئاً إلى أرصفة الميناء. وأخذ الناس يحمِّلون ويُفْرِغون من جديد، ومن جديد راحوا يغامرون في الأسواق بزخرفة أماكن عرض البضائع.

أخذ أهالي المدينة يجتمعون مذّاك تحت شجرة التوت مختلطةً جميعُ طبقاتهم ومعتقداتهم. وهناك كانوا يتّخذون قراراتهم ويحلّون خلافاتهم، وكانت أصواتهم تحتدّ أحياناً، ولكنّ كلمة من فم «ماني» كانت كافية لكي يرين الصمت وتُصيخ الآذان. وكان ذلك في الحقّ جمهور المستمعين المتعطِّش إلى الحقيقة الذي طالما تهيّأ ابن (بابل) لخطب ودِّه. وقد انبغى أن يحضر إلى (الهند) ليلتقي به ويكتشف في هذه المرآة المتعدِّدة السطوح صورته الخاصّة «رسولاً»: